محاضرة2: المجتمع المشرقي في العصر الفاطمي

1-طبقات المجتمع:

تعددت عناصر السكان واختلفت أجناسهم وطوائفهم في العصر الفاطمي، فسكان مصر في ذلك الوقت كانوا أخلاطا من أجناس مختلفة من الناس : القبط –الروم –العرب –الأحباش-الأكراد –الأرمن –الأتراك وأضيف لهم: البربر-السودان –الصقالية، حيث أن معظم تلك العناصر كانت منخرطة بسلك الجندية في الجيش الفاطمي.

لقد انصهرت هذه العناصر المتعددة مع الوقت في الحياة المصرية وتأثرت بتقاليد المجتمع المصري العريقة حتى أن الخلفاء الفاطميين أنفسهم صار يغلب عليهم تسميتهم بالمصريين كما أطلق بعض المؤرخين على دولتهم اسم : الدولة المصرية، وعلى الجيش بكل طوائفه العساكر المصرية أو الجند المصريين .

2-التقسيمات الطبقية :

كان المجتمع مقسما إلى طبقتين :طبقة الخاصة والعامة وهذا التقسيم للطبقات يقدمه صاحب كتاب :**مختصر كتاب البلدان لأبو بكر الهمداني** يوضح فيه النظرة السائدة في ذلك الوقت من الطبقات الاجتماعية حيث يقسم الناس إلى «ملوك قدمهم الاستحقاق ووزراء فضلهم الفطنة والرأي وعلية أنهضهم اليسار وأوساط ألحقهم بهم التأدب ،والناس بعدهم زيد جفاء وسبيل عناء».

بالنسبة **للمقريزي** في كتابه :**إغاثة الأمة** وضع 7 تقسيمات للناس بالمجتمع المصري وهي:

القسم 1:أهل الدولة- القسم الثاني2:أهل اليسارمن التجار وأولي النعمة ذوي الرفاهية –القسم3:الباعة وهم متوسطو الحال من التجار /القسم 4:أهل الفلح –/القسم5:الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من الجند –القسم6:أرباب الصنائع والأجراء وأصحاب المهن – القسم7:ذوو الحاجة والمسكنة الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم .

يورد **القاضي النعمان مؤرخ الدولة الإسماعلية** تقسيما آخر للطبقات الاجتماعية فيقسم المجتمع إلى خمس طبقات ويقرر أن صلاح المجتمع يتوقف على التعاون بين هذه الطبقات فيذكر:

أولا:الجند والخليفة /ثانيا:أعوان الوالي من القضاة والعمال والكتاب ونحوهم/ ثالثا:أهل الخراج من ملاك الأراضي/ رابعا:التجار وذوي الصناعات/ خامسا:الطبقة السفلى وأهل الحاجة والمسكنة؛ ويلاحظ في تقسيمه أنه أغفل فئة الوزراء كما أنه أغفل طبقة العلماء ورجال الدين ولعله كان يقصد بهذا التقسيم الولايات التابعة للدولة الفاطمية، ويبدو ذلك من خلال عبارته: أعوان الوالي.

وبناءا على كل ماذُكر يمكننا تقسيم الطبقات الاجتماعية في مصر الفاطمية على النحو التالي: أ/الطبقة الخاصة: وتشمل الأسرة الحاكمة – الأشراف–أرباب الوظائف– أصحاب السيوف والأقلام – أصحاب الدواوين والوظائف الدينية وغيرهم . ب/الطبقة العامة: وتشمل التجار –الباعة– أصحاب الصناعة والحرف – الفقهاء–أهل الذمة –العبيد.

3/ مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر في العهد الفاطمي:

ا/اختطاط المدينة:

كانت القاهرة الفاطمية تضم عددا من الخطط والحارات التي ينسب بعضها الى القبائل أو طوائف الجند التي صحبت **جوهر الصقلبي** من المغرب كما ينسب بعضها الى أشخاص كانت لهم مكانة مرموقة في الدولة ، ومن أهم تلك الخطط والحارات: **حارة زويلة** (نسبة لقبيلة زويلة)، **حارة الباطلية** (تنسب لقوم جاءوا من المغرب بصحبته المعز عند تقسيم العطاء لم يصبهم شيء فقالو: رحنا نحن في الباطل فسموا بالباطلية)، **حارة كتامة– حارة البرقية**(نسبة الى طائفة البرقية من طوائف عسكر الدولة الفاطمية)،إضافة الى بعض أخطاط القاهرة التي كانت تسكنها طائفة من طوائف المجتمع مثل :**حارة الأمراء** يقال أنها كانت مخصصة لسكن الأمراء الأشراف من الأسرة الفاطمية؛ إضافة إلى حارات بأسماء شخصيات في الدولة مثل حارة برجوان وهي تنسب **لأبي الفتوح برجوان** الذي تولى أمر القصور في عهد الخليفة العزيز /**حارة قائد القواد** وكان يسكنها **حسين بن جوهر** الملقب بقائد القواد في عهد الخليفة الحاكم،ومن مظاهر العمران بالمدينة **القصور كالقصر الشرقي الكبير** الذي اصبح مقر الخلافة ومسكن الخلفاء الفاطميين الى نهاية دولتهم.

ب–الاحتفالات والأعياد :

اهتم الفاطميون بمظاهر الاحتفالات والترف وإحياء الأعياد والمواسم وأبدعوا في تنظيمها وإنفاق الأموال عليها خاصة المناسبات الدينية والمذهبية، وكان الشعب المصري بمختلف طبقاته يشارك فيها حيث تتخللها أجواء المسرح واللهو وتناول

أصناف من الأطعمة وشراء الملابس الزاهية ومرور الموكب الخلافي، كما أنها مناسبات للصدقات والإحسان بالهبات على الفقراء.

ومن هذه **الأعياد الاحتفال بشهر رمضان عيدي الفطر والأضحى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، رأس السنة الهجرية** ومنها أيضا الاحتفالات الشعبية الخاصة وهي المرتبطة بأحداث هامة في تاريخ الحركة الفاطمية والمذهب الشيعي منها على سبيل المثال:**الاحتفال بذكرى مقتل الحسين** وهي مرتبطة بذكرى مذبحة كربلاء منذ10محرم61هـ واحدث أول احتفال بتلك الذكرى في مصر سنة 363هـ/973م بخروج جماعات من الشيعة الى الطرقات بحراسة جنود مغاربة وهم يصيحون بالنياحة والبكاء على الحسين وبعد اقامة المشهد ينحر عند قبر الحسين في هذا اليوم عدد من الإبل والبقر والغنم وتوزع على الفقراء والمحتاجين /**عيد الغدير** ويمثل ذكرى دعامة الرسول صل الله عليه وسلم التي يؤكد أحقية علي بن أبي طالب للخلافة بعده وأحقية الخلفاء الفاطميين بها لانتسابهم إلى علي وزوجته فاطمة، ويجرى في 18 من ذي الحجة ففي هذا اليوم أوصى النبي لابن عمه علي رضي الله عنه بالإمامة على المسلمين من بعده بعد عودته من حجة الوداع في السنة 10هـ/632م، حين نزل بمكان بين مكة والمدينة يدعى **بغديرخم** (عين ماء وحوله شجر) ،وقوله صل الله عليه وسلم بعد أن صلى الظهر بأصحابه وأخذ بيد علي «من كنت مولاه فعلي مولاه ،اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار»، ويقدر الشيعة هذا الحديث بوصية الرسول لعلي بالخلافة.

-/الاحتفال بمولد الأجداد: وهي من الأعياد التي انقرضت بزوال الدولة الفاطمية وتتمثل في الاحتفال بمولد علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة والحسن والحسين والخليفة الفاطمي الحاضر وكان لهذه الأعياد تواريخ محددة يعرفها الشيعة ويحتفلون بها ولا نعرف تفاصيل رسمية عن تلك التواريخ باستثناء أخبار عن الاحتفال بمولد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 1122 م،حيث شمل الاحتفال توزيع كميات من الطعام على الطلبة والفقراء بالجوامع إضافة للمحتاجين .

-/الاحتفال بتنصيب ولي العهد:عند صدور أمر بتعيين الخليفة لمن يخلفه من أولاده بعد موته ذلك أن الوصية بولاية العهد هي من الشروط الهامة لصحة الإمامة عند الفاطميين.

4/النساء في العصر الفاطمي:

كانت القصور الفاطمية تضم عددا كبيرا من النساء لا يمكن تقديره ،وتنوعت مكانتهن الاجتماعية وما يقمن به من مهام ووظائف داخل القصر، فكان على رأسهن زوجات الخليفة وحظاياه وجواريه بالاضافة الى الخادمات اللاتي تسند إليهن أعمال مختلفة في القصر مثل: الإشراف على المائدة الخاصة بالخليفة ، وكان يقوم بهذا العمل امراة تحمل لقب«مقدمة المائدة» وأخرى تتولى خزانة الملابس الخاصة بالخليفة وتعرف ب «خزانة الكسوة» والمرأة المكلفة بها تسمى«زين الخزان» يساعدها 30جارية ، ولا يغير الخليفة ثيابه إلا عندها إضافة الى خزانة الشراب وغيرهن.

كما كان يقوم على خدمة زوجات الخليفة وحظاياه عدد من النساء ويطلق عليهن المستخدمات عند الجهات العالية، إضافة الى جواري أخريات يتقن فن الغناء والطرب والعزف على الألات الموسيقية والرقص وإدخال السرور على مجلس الخليفة وحاشيته وكان اللقب المنتشر بين نساء القصر والذي يطلق على الأميرات بنات الخلفاء :(**السيدة الشريفة**)

وكان للنساء في القصر نفوذ وتأثير في دواليب الحكم والسياسة وتدخل في شؤون الدولة مثل:ست الملك (والدتها مسيحية)كان لها تأثير كبير على العزيز (975-996م)ومحاباته لأهل الذمة ،وكانت الرأس المدبر وراء اغتيال أخيها الحاكم بأمر الله (996-1069م) كما كان لأم الخليفة المستنصر بالله (1035-1094م)نفوذ كبير في الدولة الفاطمية وكان للخليفة الآمر بأحكام الله (1101-1113) جارية على درجة كبيرة من العلم والثقافة (تجيد العلوم كالطب والنجوم والموسيقى)، وكانت تحب الآمر وتحافظ عليه من المؤامرات التي دبرها ضده وزيره الأفضل بدس السم لقتله ، وكان لها دور كبير في تدبير مؤامرة اغتيال الأفضل وزوال خطره على الخليفة.

أما نساء العامة فلا نعرف عنهن الكثير سوى أن المرأة لدى العامة كانت تقوم بالأعمال العادية في نطاق الأسرة كربة بيت ترعى شؤون عائلتها وأبنائها مع احتراف بعض الأعمال كغسل الموتى –صناعة النسيج -المزينات- القوابل- وبعض الفضليات يعملن بالوعظ وإلقاء الدروس الدينية.